ثالثاً : تعليقات ومناقشات ومطارحات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في الأُذَيْن

للدكتور محمد هيثم خياط

لأني من المعجبين بالأخ المفضال الأستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي، بادرت إلى كتابة هذا التعقيب، خشية أن يسارع المعجبون به وهم كثر، إلى الاقتناع بما كتبه في العدد المزدوج (٢٨ – ٢٩) من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (ص ١٤٢).

فقد قال حفظه الله في حديثه عن القاعدة التي تقضي بإلحاق علامة التأنيث في المصغّر الذي خلا أصله من العلامة: ومن الغريب أن المعاصرين قد جهلوا هذه القاعدة، ولذلك صغروا «أذن» على «أذين» فقالوا الأُذين الأيمن، والأُذين الأيسر، كما في الكتب المدرسية، وجعلوا هذا المصغر مقابلا لبطين في قولهم البطين الايمن والبطين الايسر اهـ».

وأول ما أريد أن أنبه عليه، أن «الأذينة» التي يُرغِّب الاستاذ الفاضل في استعمالها هي عضو آخر غير «الأذين» فالأُذين atrium هو ذلك الجوف القلبي الذي يعلو البطين. وفي القلب أربعة أجواف أذينان وبطينان. ولكن تتصل بكل «أذين» من الأعلى والخلف «أذينة» auricula تشبه الأذن الصغيرة، وقد يقال لها «زائدة الاذين»

وأذنا القلب اللتان كان يتحدث عنهما اللغويون والاطباء العرب، ليستا باatria وانما هما ال «auriculae» ففي كتاب خلق الانسان لثابت بن أبي ثابت: «وفي القلب أذناه، وهما في ناحيتيه يشبهان بالاذنين» وأذنا القلب – في القاموس «زَنَمَتَان في أعلاه» وهما كذلك في قانون ابن سيناء «زايدتان على فوهتي [القلب] كالأذنين...» (المقالة الاولى من الفن الحادي عشر من الكتاب الثالث ص ٤١١ في طبعة رومية) ...وهما «زائدتان شبيهتان بالأذنين يسميان أذني القلب...» (كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس، ص ١٠٨) ولم يكونوا قد شرّحوا القلب تشريحا دقيقا من الداخل ليعرفوا ال «atrium حق المعرفة، فهو لا يميز في ظاهر القلب وانما تميز زائدتاه فحسب.

وليس يخفى أن كلمة «auricula» أحقُّ بكلمة «الأذينة» لأنها تصغير «auris» في الاتينية ومعناها «الأذن». أما كلمة atrium التي حلت محل auricle (الانكليزية) في التسمية التشريحية الحديثة فهي من اللاتينة، وهي صحن الدار الرومانية القديمة، تتصل به من هنا وهناك اجنحة وغرف وممرات، كما أنها أطلقت أيضا على أي ساحة مفتوحة تحيط بها أروقة ذات عمد، وهي بَنِيَّة توجد عادة قُدَّامَ المعبد.

وقد وجد «المعاصرون» أن من الخير ان لا ينأوا كثيرا باللفظ المقابل لكلمة atrium عن اللفظة التي شاعت من قبل عند قدمائنا، ويؤدوا المعنى الجديد في الوقت نفسه، فاختاروا تصغير «الأُذَين» بفتح الهمزة وكسر الذال المعجمة) وهو المكان الذي يصل إليه الأذان، وهو الأُذن أيضا، وهو مذكر يصغر تصغير ترخيم على أُذَيْنْ» (بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة).

وبعد، فقد أشار الاستاذ الفاضل في حاشية الصفحة الآنفة الذكر من مقاله القيم، إلى أن إلحاق علامة التأنيث في المصغر الذي خلا أصله من العلامة «قاعدة شاملة عامة في العربية، وانه لم يقف على الشواذ منها إلا على كلمة «قوس» وهي مؤنثة من غير علامة ولم يسمع تذكيرها. ولكنهم قالوا في تصغيرها قويس ولم يؤثر عنهم قويسة».

ولأمر ما اختار الأستاذ هذا المثال. والا فالقوس – كما يقول الجوهري – «يذكر ويؤنث، فمن أنث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس». وفي العربية كثير من الأمثلة على مؤنثات لا تؤنث مصغراتها، يحضرني منها الآن أربعة:

١ – الدرع «وتصغير الدرع: دُريع بغير هاء على غير قياس لأن قياسه بالهاء، وهو أحد ما شذ من هذا الضرب. ابن السكيت: هي درع الحدّيد» (اللسان: درع) على انه قد ورد تذكير الدرع فحكى اللحياني: درع سابغة ودرع سابغ، وقال سابغ، وقال أبو الأخرز:

مقلصا بالدرع ذي التغضن يمشي العِرضنْي في الحديد المتقن

٢ – الضحى، «والضحى أنثى وتصغيرها بغير هاء لئلا يلتبس بتصغير ضحوة (اللسان: ض ح ي) وأنشد للنابغة الجعدي:

كأن الغبار الذي غادرت ضُحَيًا دواخن من تنضب

الشاهد فيه تصغير ضحى على ضُحَيّ، وكان القياس أن تصغر بالهاء لأنها مؤنثة، إلا انهم صغروها بغير هاء لئلا تلتبس بتصغير ضحوة» (شرح الشواهد، حاشية الصفحة ٢/ ١٣٨ من كتاب سيبويه).

٣ – الناب، وتصغير الناب من الابل – وهي مؤنثة – نُيِيْب بغير هاء ...فيقال سميت لطول نابها فهو كالصفة فلذلك لم تلحقه الهاء، لأن الهاء لا تلحق تصغير الصفات...»

٤ – العروس، «وفي حديث ابن عمر ان أمرأة قالت له ان ابنتي عُرَيِّس وقد تمعط شعرها، هي تصغير العروس ولم تلحقه تاء التأنيث وإن كان مؤنثا لقيام الحرف الرابع مقامه»

وفي الامثلة الثلاثة الاخيرة تعَلِّات ثلاث: «عدم الالتباس» و «شبهة الصفة» و «قيام الحرف الرابع مقام التأنيث» فإذا كانت التَعِلّة الاولى معتبرة، وهي كذلك ان شاء الله، فما كان احرى ان تصغر «الأذن» على «أذين» لئلا تلتبس بتصغير «أذنة» وهي خوصة الثمام، وواحدة التبن، والشهوة.

ومعذرة لأخي الاستاذ ابراهيم وشكرا، فقد اتاح لي فرصة لرفع بعض الملام عن أصحابنا «المعاصرين»

تساؤلات

للاستاذ: حسن الكرمي
لندن

(٣)

ذكرت في العدد السابق لمجلة المجمع الموقر أن صيغة(أفعل) من الألوان تأتي من الفعل (فَعِل يَفعَل فَعَلًا). وقلت في التمثيل على ذلك:

(زَرِق، يزرَق، زَرَقا) فهو أزرق

و(خَضِر يَخْضَر خَضَراً) فهو أخضر

و(سَوِد يَسوَد سَوَداً) فهو أسود

وقلت إن المعاجم لم تذكر اشتقاق أبيض وأحمر وأصفر وماكل شيء تذكره المعاجم. وتقول المعاجم بحسب هذه القاعدة.

(أَدِم يأدَم أَدَماً) فهو آدم

و(بَقِع يَبْقَع بَقَعاً) فهو أبقع

و(بَقِع يَبْقِع بقَعاً) أبقع

و(دَعِج يَدعَج دَعجاً) فهو أدعج

و(حَوِر يَحْوَرَ حَوَراً) فهو أحور

و(حَوِيَ يَحْوَيِ حَوىً) فهو أحوى

و(دَلِم يَدْلَمُ دَلَماً ا) فهو أدلم

وهكذا في: أصدأ وأقنى وأجهد وأشمط وأكدر وأكمل واعْفَر وأنمش، وأكلف وأسحم وأغد وغيرها، وجميع هذه مشتقة من الصيغة ذاتها، والمعاجم تذكر هذا الاشتقاق

ولكنها لا تذكر اشتقاق. أحلك، وأغبر. وأغبس وأدبس وأدهم وأرقط وأربش وأرقش وأربد وأغبش وأرهم وأكحل وأدجن وأحمّ وأرمد وأسخم وأجأى وغيرها. وكان يجب ذكر وأدجن وأحمّ وأربد وأسخم وأجأى وغيرها. وكان يجب ذكر صيغة الفعل لكل من هذه الألوان. وأي معجم جديد يجب أن لا يغفل اشتقاقها.

ونخرج من كل ذلك بأن(أفعل) من اللون هي من صيغة(فَعِل يفعَل فَعَلًا) لا غير، وأية صيغة أخرى يجب أن لا تكون صحيحة. وانظر الآن إلى الصيغ التالية الموجودة في المعاجم.

(سَمُر يَسْمُر سُمْرة) فهو أسمر . وفي قول آخر (سَمِر يَسْمُر سُمْرةً)
(حَلكِ يَحْلَك حَلَكاً) فهو حالك (بدلًا من أحلك)
و (كَهِب يَكْهَب كَهَباً) فهو كاهب (بدلًا من أكهب)
و (جان يَجوُن جَوْناً) فهو أجون
و (جَأى يَجْأى جُؤةً) فهو أجْوأ (بدلًا من أجْأى) وبدلًا من (جَئِي يَجْأىَ جأى)
و (حَلِك يَحْلَك حَلَكاً) فهو حالك (بدلًا من أحلك)
و (رَمُك يَرْمُك رُمْكَةً) فهو أرمك
و (خَضِب يْخضَب خُضوباً) بدلًا من (خَضِبَ يَخْضَبُ خَضبَاً) ولا ذكر في المعاجم لصفه (أخضب)
و (كَمِد يَكْمَدَ كَمَداً) فهو كامِد (بدلًا من أكمد لِلّون)
و (كمِت يَكمْتَ كَمَتاً) فهو أكمت (وهذا الفعل غير موجود)
و (طَلُسَ يَطْلُس طُلْسَةْ وَطَلساً) دون ذكر أطلس
و (قَهِب يَقْهَب قَهَباً) فهو قهّب (بدلًا من أقهب)

والقصَد من ذلك كله (١) جميع الألوان تكون على صيغة (فَعِل يَفْعَل فَعَلًا) وما خالف ذلك فهو غلط .

و (٢) أي فعل يخالف ذلك يجب تصحيحه ، وإذا لم يذكر فيجب ذكره . وعلى هذا يجب أن تقول : (بَيِضَ يَبْيَض بَيَضاً)
و (حَمِر يَحْمَر حَمَراً)
و (صَفِر يَصْفَر صَفَراً)
و (سَمِر يسْمَرُ سَمَراً)
و (جَوِن يَجْوَن جَوَناً)

وقد اقتصر على هذا الوزن في الألوان الجوهري وابن سيده وابن القوطية وابن القطاّع .

استدراك وتعليق على كتاب
«حروف الممدود والمقصور» لابن السكيت المتوفى ٢٤٤ هـ تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود

للدكتور رياض حسن الخوام
جامعة ام القرى

هذا الكتاب يُعد واحداً من الكتب الكثيرة التي أُلّفت في هذا الجانب اللغوي الواسع، ومؤلفه غني عن البيان والتعريف عند المشتغلين بعلوم العربية ، ولا شك ان محققه الفاضل قد بذل عناء شديداً حتى تم له اخراجه ونشره، ذلك ان المخطوط وحيد وقد كتب بخط نسخي غير متقن [١] غير ان ثمة ملحوظتين هامتين – فيما اعتقد – أود الاشارة اليهما :

الأولى: أن هناك نصين قد سقطا من الكتاب المحقق، أوردهما السيوطي في مزهرة منسوبين لابن السكيت في كتابة هذا، قال السيوطي :

أ) «وفي كتاب المقصور والممدود لابن السكيت، قال أبو عبيده : فقال فقيه العرب : من سَرَّه النَّسَاء– ولا نَسَاءَ – فليبكر العشاء وليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقل غِشيان النساء[٢]

ب) «وقال ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود : قال الاصمعي : لم أسمع فَعَلَى الا في المؤنث . الا في بيت جاء لأُمية بن ابي عائذ في المذكر،

كأني ورَحْلي إذا رُعْتُها على جَمَزَى جازِئٍ بالرمال[٣]

الثانية : ان نصوصا وردت في الكتابين، غير ان نصوص المزهر فيها زيادات على تلك التي وردت في كتاب ابن السكيت، والمحقق لم يقم بالتعليق على ذلك مع كونه عالما بذلك، نعتقد ذلك لأمرين :

---

(١) الممدود والمقصور، لابن السكيت، ٢٣ .
(٢)المزهر ، السيوطي ٦٣٧/١
(٣) المزهر ، السيوطي ط/٧١ .

أ) أنه حين قام بتوثيق نسبة الكتاب لابن السكيت ذكر اسماء الذين نصوا في كتبهم على تأليف ابن السكيت لكتابه هذا، وانهى بقوله: وانهى ذلك بقوله: وفي المزهر نقول منه تتفق مع ما جاء في كتاب المقصور والممدود [1]

ب) أنه أحال إلى كتاب المزهر في أكثر من موضع، وأكمل منه بعض السقط الذي وجد في المخطوط كما سنبين ذلك مما سيأتي.

ومهما يكن من أمر فإنّ ما يعنينا أن المحقق لم يعلق على هذه الزيادات بشيء، وها نحن نورد نصوص الكتابين مقارنين فيما بينها لنتبين ذلك، قال السيوطي:

أ) قال ابن السكيت في المقصور والممدود: كل ما كان من حروف الهجاء على حرفين الثاني منهما يُمَدُّ ويُقْصَرُ من ذلك: الباء والتاء والثاء والفاء والطاء والظاء والحاء والخاء والراء والهاء والياء[2].

اما ما ورد في كتاب ابن السكيت المحقق فنصه: كذلك كل حروف الهجاء ما كان منها على حرفين الثاني منها الف يمد ويقصر [3] والمقارنة السريعة بين النصين تظهر تلك الزيادة الواقعة في نص المزهر تلك التي لم نجد تعليقا عليها من قِبَلِ المحققّ.

ب) وفي المقصور والممدود لابن السكيت، يقال: بغلةٌ سفْواءٌ اذا كانت سريعة، قال ابو عبيدة: ولا يقال من هذا للذكر أَسْفَى، ويُقالُ: بَعيرٌ عَيَاءٌ اذا كان لا يحسن الضرّاب ولا يقالُ في الناس[4] والذي ورد من هذا النص كله في كتاب ابن السكيت المحقق هو «ولا يقال للذكر أسفى[5]» أما أول النص وآخره، ونسبة القول لأبي عبيدة فقد سقط كل ذلك دون اشارة من المحقق الى ذلك.

ج) كلُ مصدر كان على مثال الفِعيِّلي مقصور لا يمد ولا يكتب بالالف نحو الهزّيمي والخِطّيمى والرميثى والرويدى، وزعم الكسائي أنه سمع المدّ والقصرَ في خصّيصى

(١) الممدود والمقصور لابن السكيت، ٢١.

(٢) المزهر ١٠٢/٢

(٣) الممدود والمقصور، ابن السكيت ١١١

(٤) المزهر، سد ٤٤٠/١

(٥) الممدود والمقصور، ابن السكيت ٩٦

وأمرهم فيضوضي بينهم، وقال الفراء لم أسمع احدا من العرب يمد شيئا من هذا ولم يجزه. ذكره ابن السكيت في المقصور والممدود[1] أما ما ورد في كتاب ابن السكيت المحقق فيتفق أوله مع نص المزهر، على الرغم من وقوع بعض الاختلاف – وسقط آخره كاملا قال: اعلم ان كل مصدر على مثال فعيلي فهو مقصور ويكتب بالياء مثل الحضيضى مصدر حضضت [2] ثم راح يسوق ما كان على هذا الوزن دون ذكر لزعم الكسائي وقول الفراء اللذين وردا في نص المزهر.

د) قال ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود: قال الفراء: ليس في الكلام فُعْلاء ساكنة العين ممدودة الا حرفان: للقَوْبَاءِ قَوْباء وللخُشَشَاء خُشَّاء[3].

وهذا النقل بنصه أورده ابن السكيت في كتابه وأشار المحقق في الحاشية الى ان سقطا قد وقع في المخطوط بعد: «قال» ثم قال: «لعله الفراء» واعتمد لاثبات هذا السقط على نص المزهر، ثم ذكر ايضا ان نقصا آخر قد وقع في المخطوط بعد كلمة: قوباء وقد أكمله أيضا من نص المزهر[4] غير ان المحقق اغفل تتمة النص الذي أورده السيوطي منسوبا لابن السكيت في كتابة المقصور والممدود، فقد ذكر السيوطي بعد كلمة خشاء ما يلي:

قال: وليس في الكلام فِعَلاء (مكسورة الفاء مفتوحة العين ممدودة) الا ثلاثة أحرف، السِّيَراء: ضَرْب من البرود ويقال: الذهب والحِولاء والكلام فيه بالضم والعِنَباء للعنب، قال وليس في الكلام فَعَلاء (بتحريك ثانيه وفتح الفاء) غير هذين الحرفين: السَّحناء: الهيئة لغة في السِّحْناء (بالسكون) ثأواء لغة في ثأواء (بالسكون قال: وكل الاصوات مضمومة كالدعاء والرغاء والثغاء والعواء والمكاء: الصَّفير والحداء والضغاء ضغاء الذئب، والزُّقاء:

---

(١) المزهر ٢/٢٠٢

(٢) الممدود والمقصور ابن السكيت ٤٨

(٣) المزهر ٢/١٠٦.

(٤) الممدود والمقصور، ابن السكيت ٥٦ وانظر تعليق المحقق في الحاشية.

زقاء الديك الا حرفين: النداء وقد ضمه قوم فقالوا: النُّداء، والغناء.[1] ويبدو ان المحقق قد ظَنّ أن نَقْلَ السيوطي من كتاب ابن السكيت قد انتهى عند قوله خُشَّاء لكني اعتقد ان النص كله منقول من كتاب ابن السكيت وذلك لثلاثة أمور:

أ) أن السيوطي أضاف بعد كلمة الغِناء التي انتهى النقل بها قائلا :«وفي الصحاح قال الفراء» [2]مما يدل على ان ما سبق ذلك هو من كتاب ابن السكيت الذي ذكره في أول النص

ب) ان الالفاظ الممدودة التي وردت في نص المزهر الدالة على الاصوات ذكرت في كتاب ابن السكيت المحقّق مع اختلاف بسيط في ترتيبها[3].

ج) أن سياق الكلام يدل على ان النص متكامل لا انفصام بين أوله وآخره.

وبعد: فهذا ما أردت بيانه وايضاحه آملا ان يتدارك المحقق الفاضل ذلك. والله من وراء القصد.

---

(١) المزهر، ٢/ ١٠٧.

(٢) المرجع السابق ١٠٧/٢

(٣) انظر الممدود والمقصور ابن السكيت ٨٥.

أديب الشام الدكتور شكري فيصل

للدكتور نسيب نشاوي
جامعة عنابة

نعت الأوساط العلمية والأدبية والصحافة والاذاعة بدمشق وفاة أديب الشام الكبير الدكتور شكري فيصل عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وعضو مجامع اللغة العربية في القاهرة والأردن وبغداد والهند، وأستاذ الدراسات العليا في جامعة دمشق والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وعضو اتحاد الكتاب العرب.

توفي العلامة اللغوى الأديب المجمعي الدكتور شكري فيصل إثر عملية جراحية أجريت له في جنيف بسويسره مساء يوم السبت في ١٤٠٥/١١/١٧هـ الموافق ١٩٨٥/٨/٣م وصلي عليه بالمسجد النبوي الشريف ووري جثمانه الطاهر بالمدينة المنورة يوم السبت في ١٤٠٥/١١/٢٤هـ الموافق ١٠/ ٨/ ١٩٨٥م. ففقد مجمع اللغة العربية عالما بارا بأمته ورجلا من رجال الأدب والفكر كان له فضل كبير في تخريج جيلين من الأدباء والجامعيين تابعوا نهجه في الاعتزاز بالتراث العربي الاسلامي والعمل على نشره واحيائه.

وبدمشق(الشام) حيث ولد الأستاذ الفقيد تقبلت أسرته التعازي وكان لي شرف المشاركة في تقديم التعزية.

عرفتُ الدكتور شكري فيصل منذ نحو ثلاثين سنة، اذ كنا نسكن بالحي الذي يسكن فيه بدمشق وهو(حي العقيبة)وكانت أسرته وأبناء عمومته يقطنون هذا الحي أيضا ويقع في قلب مدينة دمشق القديمة(الشام)، وعرف آنذاك بوداعته وجده ووجاهته وعلمه، اذ كنت أسمع مما يتردد بين رفاق الصبا أنه نشأ عصاميا ثقّف نفسه بنفسه وتفّوق على الأقران ثم سافر الى مصر فدرس الماجستير والدكتوراه ونال المراتب الرفيعة. فصار قدوة أهل الحي، وما كنت أعلم أنني سأكون في يوم ما في عداد طلابه بكلية

الآداب بجامعة دمشق فقد كان أستاذاً فيها منذ مطلع الخمسينات واذ ذاك كنا في المدرسة الابتدائية.

ولما دخلت جامعة دمشق عام ١٩٦٦ م صرت أحد طلابه بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب ورأيت أن شهرته آنذاك قد طبقت الآفاق وملأت الوطن العربي، ودرست عليه سنتين، ففي السنة الأولى ألقى علينا محاضراته في مادة(الأدب الجاهلي) فكان يَحْدث لي ولطلابه ما يشبه النشوة أو الغيبوبة عن هذا العالم فنسبح مع الأدب الخالد وآفاقه وعواطفه وصوره: وتتجلّى لنا الحياة العربية القديمة بفطرتها السليمة وعواطفها البريئة ومباذلها الطريفة، وخاصة حين تنكبّ على الغزل العذرى أو المادى.. أو المفاخرة بالأحساب والأنساب والقوة الجسدية والنفسية.. ولم تزل اعتذاريات النابغة الذبياني لأبي قابوس ملك الحيرة ترنّ في سمعي الى الآن ولا سيما قوله:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد

وما زلت أتبنّى رأيه في طه حسين الذي نفى كثيرا من الشعر الجاهلي في أن طه حسين أراد أن يعاكس التيار ليلفت النظر أولا وليلقي صخرة كبيرة في مياه الأدب الراكدة في مطلع هذا القرن، ويتبنّى منهجا جديدا في معالجة النص الأدبي قائما على الشك الديكارتي..

وأثمرت هذه المحاضرات بعض المطبوعات التي قدمها لنا عن (**طبقات فحول الشعراء**) لابن سلّام و(الشعر والشعراء) لابن قتيبة، وكتابين ألفهما- رحمة الله- أحدهما في دراسة(النابغة الذبياني) والآخر هو (تحقيق ديوان النابغة) صنعة ابن السكيت نشره ببيروت عام ١٩٦٦م. وطلب الينا أيضا التركيز على كتاب (تطور الغزل في الجاهلية والاسلام) وهو من تأليفه أيضا. ولم يقصر المقرر الجامعي على هذا فحسب فهناك كتاب(في الأدب الجاهلي) لطه حسين، طلب الينا حفظه وحفظ جميع الردود التي تصدت له والمعركة الأدبية التي دارت رحاها حوله آنذاك ولا سيما الصدام الذي وقع بين الرافعي وطه حسين وحركة التأليف التي نشطت اثره والتي أخرجت أخيرا الكتاب القيّم الذي صنعه الدكتور ناصر الدين الأسد تحت عنوان(مصادر الشعر الجاهلي) حيث أثبت صحة الأدب الجاهلي بشكل علمي دقيق..

أما الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ فجعل آنذاك يلقي محاضراته حول سائر شعراء الجاهلية كشعراء المعلقات والشعراء الفرسان والشعراء الصعاليك.. وقد اختار لهم نصوصا ذهبية جعلها في كتاب قيّم موّثق بعنوان(**نصوص مختارة من الشعر الجاهلي**) ليدعم مقرر الأدب الجاهلي الذي يحاضر فيه الدكتور فيصل.

ان ملاحظة حجم المادة التي كان يحاضر فيها الدكتور فيصل في الستينات يوحي باخلاص هذا الرجل وسعة علمه وصدقه في تقديم منهاج شامل متكامل لطلابه الجامعيين، خصوصا اذا عرفنا أن حجم الزمان المخصص للمحاضرة لا يعدو ساعتين اسبوعيا خلال عام دراسي، واننا لنحنّ الى تلك الأيام التي كان فيها التدريس الجامعي على هذا النحو.

في عام ١٩٦٨ م وكنا نجحنا الى السنة الثالثة بكلية الآداب سمعنا أن الدكتور فيصل قد عزم على السفر الى الجزائر لتدريس الأدب العربي في جامعة الجزائر العاصمة فأدركت أنه ودع طلابه في أثناء امتحان(الأدب الاسلامي) قبل شهور اذ دخل علينا ونحن في قاعة الامتحان وسألنا عما نحتاج اليه لمعالجة أسئلة المقرر، ولم يكتف بهذا بل أخذ يتقدم الى كل طالب في مقعده ويحييه بلطف ووقار مشيرا اليه أن اسأل عما بدا لك.. وتلك لحظات لا أنساها حين أطلّ عليّ وأنا في غمرة التفكير وسألني: هل السؤال واضح؟

وفعلا أعارته جامعة دمشق الى جامعة الجزائر ثلاث سنوات، وبقيت اتبادل الرسائل معه وما زلت أحتفظ ببعض ما أرسله اليّ من الجزائر. ولما تخرجت في جامعة دمشق كان قد عاد فصرت أزوره فيساعدني بتوجيهاته القيمة حول رسالة الماجستير التي كنت أعدها بعنوان(لبيد بن ربيعة العامرى حياتهُ وشعره في الجاهلية والاسلام)، ثم صرت أزوره بمكتبه وهو أمين عام لمجمع اللغة العربية بدمشق.

ففي حدود عام ١٩٧٣ م انتخب أمينا عاما لمجمع اللغة العربية بدمشق فبدأ يخطط لمشروع علمي ضخم وهو نشر موسوعة (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر، فاستعان بوزارة الدفاع السورية فأبدت استعدادها للمساعدة، وانتدب لهذا العمل فرقة من الباحثين في التراث عملوا باشرافه وتوجيهه نحو خمس سنوات، فأخرجت المجموعة جزءا من كتاب تاريخ دمشق الكبير عام ١٩٧٧ م في ألف صفحة من القطع الكبير، وصار هذا

الجزء نموذجا للمحققين الذين دأبوا بعد ذلك على نشر بقية الأجزاء، وطالت الطريق على السائرين لأن كتاب ابن عساكر يتألف من ٥٦٠ جزءا.. وهذا يعني أن المشروع سيحتاج الى عشرات السنين.. وأخذ المجمع يفكر في هذا الشغل الذي أرهقه وأرهق الباحثين، ولكن عزيمة الدكتور فيصل كانت أشد من أن ينالها الوهن والرهق فأصرّ على متابعة ما خطط له.. وأصدر أجزاء أخر من الكتاب.. واضطر الى ترك أمانة المجمع فبقيت شاغرة الى أن قبلها العلامة الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب منذ عام ١٩٨١.

بين عام ١٩٧٠م وعام ١٩٨١م كان الدكتور فيصل في أوج نشاطه وعطائه وهو يعبر الخمسين الى الستين من العمر (ولد عام ١٩١٨م) وكأنّ الأيام تزيده توقدا وحيوية، وهي حيوية كان يسكبها على التراث العربي الاسلامي فينبرى لنشره وتشجيع حماته وأنصاره، يحاضر في عدة جامعات عربية في دمشق وبيروت وقطر والكويت وكأنما حببت اليه الأسفار فما ان يستقر حتى يرحل للتدريس أو المشاركة في المؤتمرات العربية والعالمية ونشر بحوثه ومقالاته وكتبه وتحقيقاته وزيادة على ذلك هو عضو عامل في المجمع بدمشق وعضو بارز في مجامع القاهرة وبغداد والأردن والهند.. يشرف على لجنة احياء المخطوطات ونشر التراث وعلى مجلة المجمع بدمشق ويدافع عن العرب والمسلمين في المحافل دفاع الغيور القوى فلا يترك فرصة للنيل من أعدائهم، ولقد صبغ طلابه والباحثين من حوله بهذه الصبغة، فتخرجت على يديه نخبة استلهمت منه حب العربية وتراثها واسلامها، ولعل أحدا لا يستغرب اذا قيل ان كثيرا من أساتذة اللغة العربية في الجامعات السورية من طلابه أو ممن تتلمذ عليه، تخرج على يديه جيل كامل من الأدباء والأكاديميين.. وما زال ذكره عطرا وذكرياته طيبة وما أظنها تموت.

حزّ في نفسه في عام ١٩٨١ م أن أحيل على المعاش فخرج من هيئة التدريس بجامعة دمشق، وما واتاه جو المجمع اللغوى بدمشق لأنه أخذ يميل الى نشر التراث العربي عامة.. فلم يعد المجمع يقصر همه على (تاريخ دمشق الكبير).. وتلقى بعض صدمات في أسرته ما أحبّ أن يفصح عنها.. فأكثر من الصمت، وتبيّن أنه بدأ يفكر بمجاورة رياض رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة فأمضى عقدا مع رئاسة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وسافر اليها أستاذا للدراسات العليا منذ عام ١٩٨١م.. ولم يقطع صلته بمجمع اللغة بدمشق لأنه أحبه حبا عظيما فصار يزوره في عطلة الصيف ويلتقي زملاءه فيه، كما لم

يقطع صلته بالجزائر فكان يزورها أيام انعقاد(ملتقى الفكر الاسلامي) السنوي، وآخر ما عرفته الجزائر هو مشاركته في ذلك الملتقى في العام الماضي ١٩٨٤م وهي آخر مرة رأيته فيها وكان يجلس عاليا قرب سدة رئيس الملتقى.

ترك الدكتور شكرى فيصل شواهد آبدة أذكت حركة نشر التراث العربي الاسلامي بسورية والعالم العربي، وأسهم في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية العربية مع أمثاله من المصلحين، وزيادة على ذلك ألف كتبا جامعية في منهجية البحث الأدبي أو ما سماه (مناهج الدراسة الأدبية) ١٩٥١م وهو رسالة ماجستير قدمها الى الجامعة المصرية عام ١٩٤٩م. ودرس حركة الفتوح الاسلامية في كتابه (حركة الفتح الاسلامي)، وحلل المجتمع العربي عقب انتشار الاسلام في كتابه (المجتمعات الاسلامية في القرن الأول الهجري وتطورها اللغوي والأدبي) وهو رسالة دكتوراه، واعتنى بنشر التراث واختار منه شعراء الشام فاتصل بمجمع دمشق ونشر فيه كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر- قسم شعراء الشام) في (٣) أجزاء نشر الجزء الأول عام ١٩٥٥ والثاني عام ١٩٥٩ والثالث عام ١٩٦٤، وعني في هذه الأثناء بنشر ديوان أبي العتاهية محققا وطبعه عام ١٩٦٤ بعنوان (أبو العتاهية أشعاره وأخباره) ثم ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت ١٩٦٨ ببيروت، ثم التفت الى العناية بيسر الأعلام من العرب والمسلمين في المشروع الضخم الذي نوهنا به من قبل وهو تحقيق كتاب (تاريخ دمشق الكبير) جزء (عاصم- عايذ) ١٩٧٧، وجزء (عبد الله بن جابر- عبد الله بن زيد) ١٩٨١م بالاشتراك مع سكينة الشهابي ومطاع طرابيشي، وجزء (عبادة بن أوفى- وعبد الله بن ثوب) ١٩٨٢ بالاشتراك مع روحية النحاس ورياض مراد، وهذا المشروع ان لم يكتمل اليوم فان له كثيرا من المتحمسين الذين ما زالوا يعملون بدأب وصبر لانجازه وتحقيق أجزائه الباقية منهم من بقي في المجمع ومنهم من يحقق خارج المجمع.

كما شارك في انجاح مشروع الدراسات العليا بجامعة دمشق- كلية الآداب- وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعة دمشق والجامعات العربية الأخرى وقاوم حركة التغريب.. وعمل على دعم الأصالة العربية الاسلامية واعلاء الأدب الرفيع الأسمى.. فكان نبراس خير وقدوة سلوك.. ومثلا أعلى للغيور على العرب والمسلمين.